خـــــانـــــات بـغـــــداد

تجـــوال تـــاريخي في خـــانـــات بغـــداد القـــديمـــة

تحقيق : سها الشيخلي

تعد بغداد من اعظم مدن العالم في القرون الوسطى، لما خلدته لنا من اثار مادية وفكرية وفنية جعلت شهرتها تفوق شهرة مدن اخرى مثل دمشق والقاهرة وقرطبة.. وخاصة في العصر العباسي، وقد تبوأت مركزا مرموقا في التوسع والتنظيم... وظلت محتفظة بهذا المركز المتفرد طيلة الربع الاول من القرن الرابع الهجري، حتى تعرضت اثناء الغزو المغولي الى الدمار والخراب اضافة الى ما سببته الفيضانات من اوبئة وامراض، كل هذه العوامل عجلت في زوال وتشويه واندثار الكثير من المعالم العمرانية فيها ومنها الخانات....

المصادر

لم تحظ خانات بغداد من قبل الباحثين بدراسة مستفيضة، كما لم يذكر المؤرخون اشياء يعتد بها عنها.. واقتصر الامر على بعض المعلومات البسيطة التي وردت في كتب الرحالة الاجانب ممن مروا بها.. وربما لانهم كانوا يعنون في مؤلفاتهم بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، او يرون ان الجانب المعماري والهندسي غير ذي اهمية فهم ليسوا متخصصين فيه...

الاصل اللغوي لكلمة خان

اقيم في بلاد وادي الرافدين الكثير من الخانات (الحديث ما زال للدكتور البحراني).. وما بقي من هذه الخانات قليل بالنسبة الى ما ورد ذكره الرحالة والمؤرخون بسبب تهدمها واندثارها بفعل زوال الاسباب التي نشات من اجلها والعوامل الطبيعية، كما يرجع ايضا الى تغير طرق المواصلات وابتعادها عنها، اضافة الى ظهور وسائل النقل الحديثة واماكن اكثر راحة للمسافرين كالفنادق في الحياة العامة..

وعن بداية نشوء الخانات في العراق يحدثنا الدكتور عدنان الخاقاني قائلا:

- لعل بداية نشوء الخانات منطلقة في الاصل من اقامة بئر وسياج يحيط بقطعة من الارض حيث الاواوين الكثيرة والمرافق المتعددة، وقد نال منها تخطيط المدن، وهذا يوضح لنا الاصل الاول لنشاة الحياة وتطورها.. وقد كانت الخانات في الشرق عموما ضرورية لتسهيل النقل بين المدن الاسلامية لاغراض التجارة وزيارة الاماكن المقدسة، وقد اخذت هذه الخانات تتطور تدريجيا حتى اصبحت ذات ادارة ومرافق متعددة ومطابخ، هذا اضافة الى ما تضمنته بعض الخانات من مرافق اخرى كالمساجد والمخازن واحواض ماء كما يوجد في بعضها اماكن لحفظ اموال اليتامى وحظائر ماشية اضافة الى مجموعة من الحمامات والاسواق، كما يوجد في كل خان ساقية للسبيل وحانوت لبيع اللوازم التي يحتاجها المسافر... ونظرا للتوسع الكبير للخانات في مساحتها فقد زادت حتى اصبحت تحتوي على غرف عديدة مزودة بالمدافئ ومساطب للنوم والجلوس، اضافة الى غرف خاصة واحدة عند المدخل للحراس واخرى كمقهى وثالثة ورشة لمصلحي العربات ورابعة دكان للحدادة اضافة الى اسطبل للحيوانات...

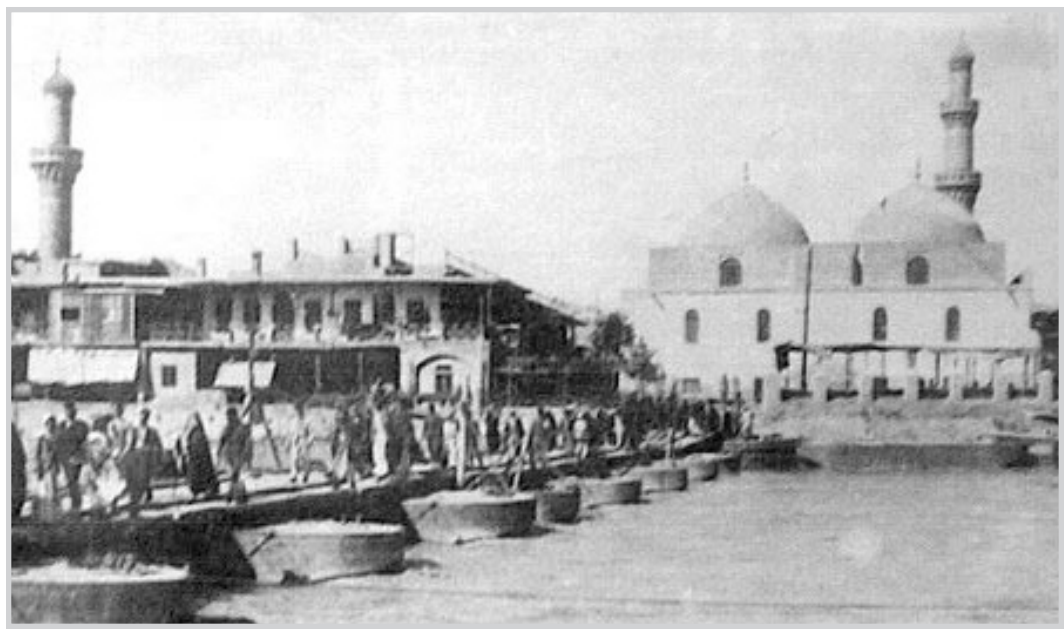

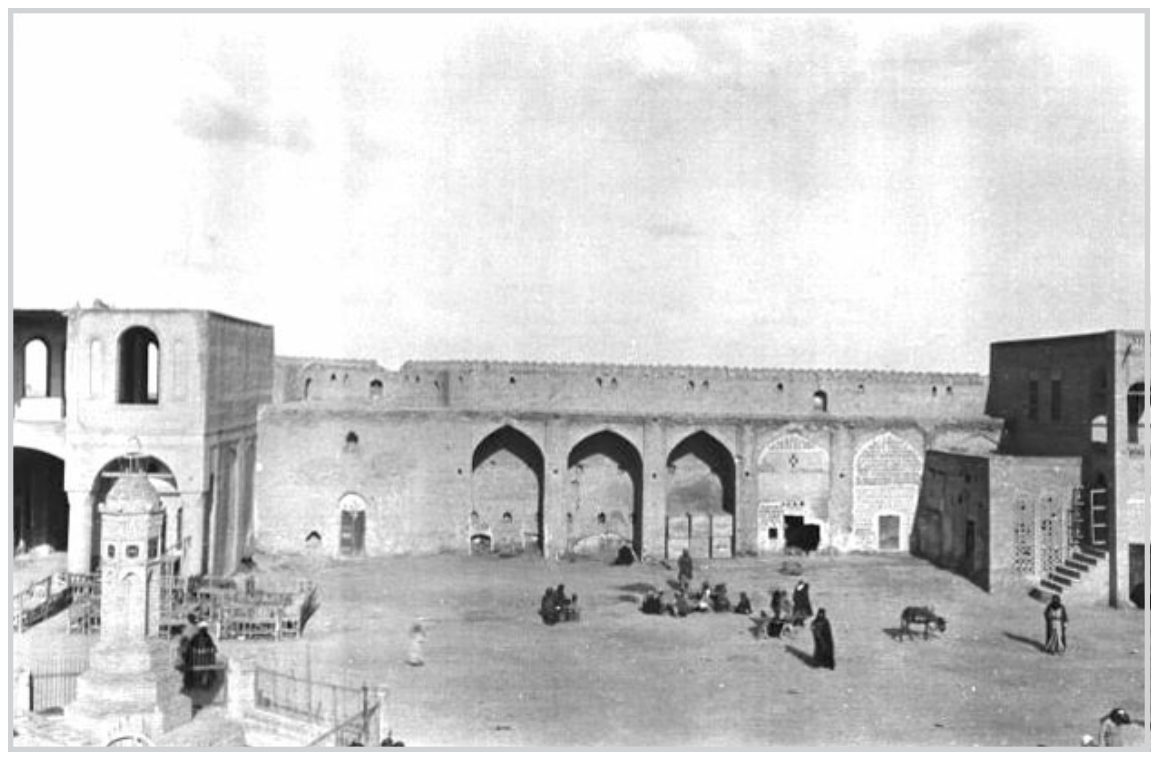

❖ ما هو تسلسل نشاة خانات بغداد قديما.. وحديثا؟

- ورد ذكر لاقامة الخانات العراقية في ترنيمة للملك (شولكي) ثاني ملوك سلالة اور الذي حكم مملكة اور عام (٢٠٩٤- ٢٠٧٤ ق.م) حيث جاء فيها ولع الملك بتعبيد الطرق واقامة البيوت الكثيرة لايواء المسافرين...

اما عن خانات بغداد المشيدة في العصور الاسلامية فقد اشار ياقوت الحموي الى وجود خان يعرف بخان (وردان) وكان موقعه شرقي بغداد يعود الى العصر العباسي الاول... وذكر اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤هجرية خانا في بغداد يعرف بخان النجائب.. اما في الفترة الاخيرة من العصر العباسي فعلى الرغم من الضعف والتدهور فقد ذكرت الاحصائيات وجود (٩٨٠) خانا... وفي القرن السابع الهجري يخبرنا ابن الغوطي عن خان في مدينة بغداد يعرف بخان الخليفة والذي امر ببنائه الوالي علاء الدين الجويني ويقع قرب نهر دجلة... ومن اشهر الخانات الشاخصة في بغداد خان مرجان الذي يعود تاريخ انشائه الى سنة ٦٧٠هجرية / ١٣٥٨ميلادية، وقد امر ببناءه حاكم بغداد امين الدين مرجان في عهد السلطان اويس ابن الشيخ حسن الاليخاني وكان هذا الخان يعرف بخان (الاورنمة) أي الخان المسقوف باللغة التركية، وينفرد هذا الخان بهذه الميزة المعمارية عن بقية الخانات المكشوفة الوسط ويعتبر خان مرجان من اجمل الخانات العراقية حيث تتجلى فيه روعة عمارته وتخطيطه ودقة زخارفه الاجرية الجميلة، ورغم سعة وارتفاع هذا الخان الا انه قد سقف بطريقة معمارية فائقة تنم عن المقدرة الفنية لبناة هذا الخان... ومما يذكر عن هذا الخان انه قد اوقفت وارداته اضافة الى خانات اخرى كالمدرسة المرجانية والمستشفى، جاء ذلك في الكتابة التي تعلو باب الخان الرئيس الكائن في سوق البزازين محلة باب الاغا حاليا... والجدير بالذكر ان هذا الخان يتالف من طابقين الاول يحتوي على ٢٢ غرفة والثاني على ٢٣غرفة.. وكان التجار والمسافرون يحتلون غرف الخان وكانت تجري فيها عملية البيع والشراء مدة ما يقارب السبعة قرون...

خان... جغان

ومن الامثلة البغدادية العالقة في الاذهان خان جغان وكان المثل يقول (قابل هو خان جغان؟؟) للتاكيد على ان هذا الخان كان يؤمه الكثيرون وعن تفسير ذلك المثل اخبرني بعض اساتذة التاريخ ان موقع الخان ربما كان السبب في اطلاق ذلك المثل فكان يقع في قلب المنطقة التجارية (الشورجة الان) وكان لابد للذاهب والقادم ان يمر عليه....

وعن تاريخ هذا الخان يحدثنا الدكتور عبد الوهاب المعاضيدي استاذ التاريخ في جامعة بغداد قائلا:-

- يعود تاريخ هذا الخان الى القرن العاشر الهجري أي السادس عشر الميلادي.. حيث تم بناؤه في زمن حكم السلطان مراد عام ٩٩٩ هجرية / ١٥٩٠ميلادية على نفقة جغالة زاده في عهد والي بغداد سنان باشا وكان يعرف عند العامة ب(جغان) نسبة الى مؤسسه . وقد بقي هذا الخان على حاله الى سنة ١٩٢٩ حيث هدم وشيد مكانه عدد من الاسواق وقد كان لهذا الخان بابان شمالي وجنوبي وكانت تعلو مدخله الشمالي كتابة مطولة بالتركية وتحتها اسطر بالعربية.. وقد شاهد الرحالة نيبور هذه الكتابة عندما زار بغداد عام ١٧٦٦ م....

ويشير الدكتور المعاضيدي الى ان في القرن السابع عشر الميلادي كانت هناك مجموعة من خانات بغداد لم يبق منها في الوقت الحاضر سوى النزر القليل حيث لعبت ايدي الزمن والتخريب بها وضاعت معالمها واندرست اثارها وبقينا نفتش عنها في صفحات الكتب علنا نقف على وصفها واخبارها... وقد اشار الرحالة نيبور الى عدد من خانات بغداد تبلغ ٢٢ خانا اربعة منها تقع في ضواحي بغداد والبقية داخل المدينة وقسم منها كبير الحجم يسكنه التجار والقسم الاخر صغير... ولم يترك لنا الرحالة (بكنغهام) في رحلته الى العراق سنة ١٨١٦ أية معلومات تتعلق بالخانات في بغداد والتي مجموعها انذاك ثلاثون خانا ما عدا اشارة عابرة الى ان هذه الخانات مشابهة في بنائها للخانات الموجودة في ديار بكر واحد هذه الخانات هو خان مرجان (الذي تحدثنا عنه)...

وهناك خانات اخرى منها خان (قابيجركهيه سي) أي خان رئيس البوابين وموقعه في سوق البزازين حاليا على طريق سوق الصفافير، وقد امر ببنائه اسماعيل اغا رئيس البوابين ووقفه على ذريته وكان بمساحة كبيرة..

❖ **خان دلة الكبير** - وكان يقع في سوق البزازين وقد شيده الحاج عبد القادر دلة بن اسماعيل سنة ١٩٠٤ م وهو خان كبير يتكون من طابقين. متين البناء وهو الان محل تجاري..

❖ **خان دلة الصغير** –وموقعه في المرادية – السكة خانة –

❖ **خان النخلة** او خان مخزوم وكان موقعه في راس سوق البزازين وقد شيده الشيخ محمد المخزوم بن احمد حافظ باشا سنة ١١١٠هجرية واوقفه على ذريته..

❖ **خان الباجة جي** –ويقع باتصال جامع الخفافين من الجهة الشرقية وقد شيده الحاج ابو بكر الباجةجي ووقفه على مصالح الخفافين وهو الان محل تجاري...

❖ **خان الدجاج** –وكان موقعه في سوق العطارين وهو من خانات بغداد القديمة وقد شيدت على ارضه في الوقت الحاضر ابنية ودكاكين...

❖ **خان المواصلة** –وقد استخدم قسم من المدرسة المستنصرية كخان لتجار الموصل سنة ١٩١٧م ....

❖ **خان الزرزور** –من خانات بغداد الشاخصة الان ويقع بالقرب من خان مرجان في سوق الخفافين القديم في الفرع المقابل للمدخل الرئيس بخان مرجان وقد ثبتت فوق مدخله كتابة هذا نصها: (السلطان ملك رقاب الامم.. السلطان سليم بن السلطان خان فخر ال عثمان عز نصر عبده امير الامراء... الخ).

❖ **خان القندرجية** –ويقع مقابل جامع الوزير.

❖ **خان الذهب الكبير وخان الذهب الصغير** وموقعهما في سوق القزازين.

❖ خان فتح الله عبود –يقع في سوق باب الاغا شمال جامع مرجان.

❖ **خان الكمرك** - يقع عند تلاقي الكمرك مع سوق الصياغ.

❖ **خان الوقف** –مقابل جامع مرجان.

❖ **خان القبلانية** –في سوق القبلانية .

❖ **خان درويش** علي وخان المميز وخان الريمي كلها تقع في الشارع المتفرع من سوق الصفافير والنافذ الى التكمجية..

❖ **خان الدجاج** –يقع في سوق الخردةفروش.

❖ **خان العادلية** –يقع قبالة المحكمة الشرعية وبجانب جامع العادلية الكبير

❖ **خان الصفافير** –عند مدخل سوق الصفافير من جهة سوق الجوخجية..

خانات.... سياحية

ويقترح الدكتور المعاضيدي اعادة تاهيل هذه الخانات واستغلالها سياحيا كما حدث لخان مرجان مثلا.. حيث ان الخانات قد انشئت منذ البداية لتخدم اغراضا سياحية خصوصا وان السياحة الدينية عادت لتزدهر.. ومن الممكن استغلال هذه الخانات دون التاثير على طرازها المعماري حيث ان اغلبها خاصة تلك التي تقع بين المدن تتالف من صحن وسطي يحتوي على دكتين تستخدمان للصلاة واحدة للنساء والاخرى للرجال ويحيط بالصحن ممر مغطى تطل عليه من الجانبين اروقة مغطاة الا انها مفتوحة بالكامل على تلك الاروقة ومن امثلة ذلك خان بني سعد الواقع بين ديالى وبغداد وخان المحمودية (خان السبيل) وخان (اسكندرية) وخان المصلى وخان (النص) وخان النخيلة (خان الربع) والخانات الاخيرة مهمة جدا حيث تقع بين النجف وكربلاء وهو الطريق الذي يسلكه الزوار سنويا لاداء فريضة الزيارة فمن الممكن احياء هذه الخانات وجعلها تقدم خدمات للزائرين كما كانت في السابق لان تركها بهذا الشكل سيؤدي الى اندثارها وزوالها...

ترنيمة الملك شولكي اول من ذكرها

من خان وردان الى خان جغان..

ماذا قال اساتذة الجامعات حول اصول الخانات...

من المحرر

حكايتان مختارتان

باسم عبد الحميد حمودي

ننقل للقارئ الكريم في هذا الباب نصي حكايتين مختارتين من حكايات وردت في كتاب (نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن) لاحمد بن محمد الانصاري اليمني الشرواني المطبوع في مصر سنة ١٩٣٧ وللحكايتين معان ومغاز وتفاصيل ينبئ كل نص منهما عنها.

-١-

الاسد والثعلب والذئب

اصطحب اسد وثعلب وذئب، فخرجوا يصيدون فصادفوا حماراً وظبياً وارنباً، فقال الاسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا فقال: الحمارلك والارنب للثعلب والظبي لي، فخلبه الاسد فاخرج عينه فقال الثعلب: قاتله الله ما اجهله بالقسمة فقال الاسد: هات انت يا ابا معاوية فاقسم فقال: يا ابا الحارث الامر اوضح من ذلك، الحمار لغدائك، والظبي لعشائك وتخلل بالارنب فيما بين ذلك، فقال الاسد: قاتلك الله ما اقضاك، من اين تعلمت هذا؟ قال الثعلب: من عين الذئب.

-٢-

القطاة وقاضي الطير

حكي ان قطاة تنازعت مع غراب في حفرة يجتمع فيها الماء، وادعى كل واحد منهما انها ملكه، فتحاكما الى قاضي الطير، فطلب بينة، فلم يكن لاحدهما بينة يقيمها، فحكم القاضي للقطاة بالحفرة، فلما رأته قضى لها من غير بينة، والحال ان الحفرة كانت للغراب، قالت له: ايها القاضي ما الذي دعاك لان حكمت لي وليس لي بينة وما الذي اثرت به دعوتي على دعوى الغراب؟ فقال: لقد اشتهر عنك الصدق بين الناس حتى ضربوا بصدقك المثل، فقالوا: اصدق من قطاة، فقالت له: اذا كان الامر على ما ذكرت فو الله ان الحفرة للغراب، وما انا ممن يشتهر عنه خلة جميلة ويفعل خلافها فقال لها: وما حملك على هذه الدعوى الباطلة؟ فقالت: ثورة الغضب لكونه منعني من ورودها، ولكن، الرجوع الى الحق اولى من التمادي في الباطل، ولان تبقى لي هذه الشهرة خير لي من الف حفرة.

ولا تعليق على الحكايتين فهما مكتفيتان بذاتيهما بما تحملانه من معان ودلائل ولعل هناك من الحكايات ما يعارض معنى الرضوخ في الاولى والاعتزاز بحسن السمعة في الثانية لكن تفاصيل الحكايتين تكشف عن اسباب ونتائج وتعطي الدليل على قدرة الانسان على انطاق الحيوان ليكون ممثلاً عنه في رسالة يريد ارسالها لمجتمعه ونحسب ان الشرواني قد فعل ذلك باجادة حتى وان اورد النصين مختارين من امكنة اخرى وتلك قضية اخرى تختص بانفصال الحكاية واعادة روايتها وهو موضوع يحتمل النقاش والتحليل في وقت اخر.

ولا تعليق على الحكايتين فهما مكتفيتان بذاتيهما بما تحملانه من معان ودلائل ولعل هناك من الحكايات ما يعارض معنى الرضوخ في الاولى والاعتزاز بحسن السمعة في الثانية لكن تفاصيل الحكايتين تكشف عن اسباب ونتائج وتعطي الدليل على قدرة الانسان على انطاق الحيوان

لغات يتكلمها واحد او ثلاثة!

أستراليا.. أرض اللغات الآيلة إلى الانقراض

ويل دونهـــام

ترجمة / ثقافة شعبية

نبّه اللغويون الى ظاهرة الانقراض المتزايد للكثير من اللغات الأهلية المحددة بـ " البقع الساخنة " العالمية الخمس في أيلول الماضي حيث المشكلة هي الأسوأ، وفي مقدمتها أستراليا الشمالية ومنطقة أمريكا الجنوبية.

واللغويون جزء من مشروع (الأصوات المتبقية) الذي يلتمس توثيق وتجديد حيوية لغات تنزلق نحو النسيان، والتي غالباً ما يتكلمها أقوام محليون مثل سكان أستراليا الأصليين الذين سحق المستوطنون ثقافاتهم.

وقد صرح ديفيد هاريسون من كلية سوارثمور في بينسيلفينيا، المدير المعاون للمشروع، قائلاً إن هناك ٦,٩٩٢ لغة مميزة معروفة على صعيد العالم. وقال إن هناك بالمعدل لغة واحدة تتلاشى كل أسبوعين، وفي الغالب لفناء آخر متكلميها الطاعنين في السن.

وقد سمى المشروع، المدعوم من المجلة الجغرافية الوطنية، منطقة استراليا الشمالية الذي يشتمل على كوينزلاند، الاقليم الشمالي واستراليا الغربية باعتبارها المكان الذي تتعرض فيه اللغات المحلية للخطر أكثر من غيره. وقال اللغويون إن استراليا الأصلية تؤوي بعض أكثر اللغات تعرضاً لخطر الانقراض، وفيها ١٥٣ لغة مختلفة يتكلمها الناس في هذه المنطقة.

وكانت منطقة أمريكا الجنوبية الوسطى التي تغطي إكوادور، وكولومبيا، وبيرو، والبرازيل وبوليفيا، هي الثانية على قائمة " البقع الساخنة "، مع لغات أصلية محلية تتغلب عليها الأسبانية، أو البرتغالية أو لغات محلية أخر.

وقال اللغويون إن بوليفيا لوحدها فيها ضعف التنوع اللغوي الموجود لدى أمم أوروبا مجتمعةً، غير أن اللهجات الأصغر تتعرض لغلبة الأسبانية وغيرها.

وقد احتلت المكانين الثالث والخامس على القائمة منطقتا أمريكا الشمالية حيث يهدد الخطر لغات الشعوب المحلية . وهي منطقة تشمل كولومبيا البريطانية في كندا وولايتي واشنطن وأوريغون من الولايات المتحدة الأمريكية، ومنطقة تغطي ولايات أوكلاهوما، تكساس ونيو مكسيكو. كما كان لسيبيريا الشرقية الرقم ٤ من " البقع الساخنة " الخاصة باللغات المحلية المعرضة لخطر الاندثار. " فهناك بضع لغات، عشرات إن لم يكن مئات، انتهت إلى متكلم واحد، اثنين، أو ثلاثة، أو ربما حتى فقدت آخر متكلميها الفصحاء وإنما هناك شبه متكلمين لديهم معرفة ضئيلة باللغة "، كما قال هاريسون، الذي أضاف: " ونحن سنخسر خزيناً هائلاً من المعرفة ".

والكثير من اللغات ليس لها شكل مكتوب، الأمر الذي يعني أنها ستضيع إلى الأبد حين يموت آخر متحدث لها، وفقا لهاريسون. وقد تعرضت بعض اللغات للفناء، مع مر السنين، على أيدي المستعمرين والمعتدين الذين استولوا على المنطقة وأبادوا سكانها.

وغالباً ما يقرر الأطفال اليوم مصير لغتهم، كما قال هاريسون، عن طريق تخليهم عن لغة الأسلاف لصالح لغة أخرى يرون أنها أوسع انتشاراً واستعمالاً، على سبيل المثال، عبر شاشات التلفزيون أو في المدارس.

وقال غريغوري أندرسون، المدير المعاون للمشروع: " سنبدأ بقائمة من ١٠٠ أو ٢٠٠ كلمة أساسية. وبعدها سنراجع كل كلمة معها مرة أخرى للتأكد من أننا نقوم بتسجيلها على نحو صحيح، ونحاول أن نكررها عليهم. " وأضاف: " وهم في العادة سينفجرون ضحكاً عند تلك النقطة لأننا نكون قد أسأنا نطقها بشكل بشع... أو جئنا بكلمة غير مهذبة، كما حصل لي في أستراليا، كما يبدو! "

عن / MSNBC

في ذكرى رحيله الرابعة والأربعين

الإيحـــاءات الـــدافـئـــة في أغـــاني نـــاظـم الغـــزالي

حسين السكاف

كثيراً ما تناقلت الألسن بحثها الدؤوب عن سر الجماهيرية الواسعة التي حظي بها الفنان العراقي الراحل ناظم الغزالي، تلك الشهرة الواسعة التي امتدت إلى كافة أرجاء الوطن العربي بعد أن فاضت بسحرها داخل العراق. والحقيقة أن أغلب ما كتبه النقاد وأكثر ما جاءت به آراء الفنانين وتحليلاتهم حول هذا الفنان الظاهرة، تناولت العديد من الجوانب والميزات المهمة التي كان الغزالي يتمتع بها، مثل، ذكائه، حضوره المؤثر، إجادته أغلب المقامات، القرار والجواب، ثقافته الموسيقية والفنية والعامة وغيرها الكثير، واليوم، نحاول أن نسلط الضوء على ميزة أخرى امتازت بها أغاني الغزالي، ألا وهي الإيحاءات الدافئة التي كانت وما زالت تحرك في ذهن المستمع إشارات وصوراً وقصصاً فتحت القريحة العراقية على وسعها لتعيش مع الأغنية لحظات دافئة أيضاً.

في فترة زمنية عراقية لم يكن فيها نواد أو ملاه أو حتى أماكن عامة تمكّن الحبيب من رؤية أو مقابلة محبوبته. كان الزقاق أو الشارع هما البديل المتاح الذي يروي ظمأ العاشقين، إن حالفهم الحظ وأطلت الحبيبة من الباب أو الشباك ليحضى المترقب بنظرة أو ابتسامة قد يعيش عليها أياماً، فالزقاق والشارع والشرفة وفلقتا الشباك المشرعتان، كلها صور يختزنها ذهن الحبيب وهي تجسد ملامح محبوبته ودلالها. من هنا تأتي أهمية أغنية ناظم الغزالي الشهيرة " طالعة من بيت أبوها " في إثارة مخيلة المستمع عن طريق الإيحاءات المثيرة للمشاعر العاشقة. إن صورة الفتاة المنفلتة بجسدها من إطار باب دارها كي تخطو بعض خطوات لتدخل بيت الجيران قاطعة مسافة لا تتعدى بضعة أمتار، أي بزمن قصير يحسب بالثواني، تتضمن العديد من الحركات والألوان والرسائل الدافئة، العباءة وطريقة ارتدائها، النظرة الجانبية وهي تطلق سهامها صوب المحبوب، الابتسامة التي تطلق فراشات الربيع داخل روح العاشق بغض النظر عن اختلاف الفصول. صور جميلة ومؤثرة لكننا نكتشف أنها لا تروي ظمأ الشاعر وبالتالي المطرب فيذهب إلى أبعد من ذلك ليمنح المستمع بعداً جسوراً آخر، حين يعترف المطرب بأنه كلم محبوبته وغازلها، فيقول معترفاً: قلت لها يا حلوة أرويني.. عطشان ميه اسقيني " ثم يوغل باعترافه ليبوح بأخطر من ذلك حين ينقل الكلام على لسان حلوته فيقول: " قالت لي روح يا مسكين.. مينا ما يروي العطشان " وهنا ترتفع روح المستمع المتخيل إلى سماوات خيالاتها لاهثة وراء المعنى. ترى هل هناك ماء لا يروي العطشى!؟ هو إذاً ليس الماء الذي نعرفه!!

العيون وسحر لغتها، لها في أغاني ناظم الغزالي حضورها الواضح كما ولها دلالتها في لغة التخاطب بين الأحبة، ففي زمن لم تعرف فيه الرسائل الإلكترونية أو الهواتف بعد، كانت العيون هي من تقوم بكل تلك الوظائف، لذا فلقد أغرق ناظم الغزالي أغانيه بالكثير من المعاني والحركات والإشارات التي كانت تطلقها عيون العشاق في مشاهد مصورة بدقة تظهرها تلك الأغاني. ففي أغنية " طالعة من بيت أبوها " يقول: " قلت لها يا حلوة ارويني.. علي عيونك فرجيني "، وفي أخرى يشكو ويعترف: " مرو علي الحلوين وعذبوني.. نظرات تهيم الروح بيها سبوني "، وفي الثالثة يقول: " بالوجنة أجني الليل.. بالعين أسلم "، وفي أغنية " الهدية " يقدم الغزالي عينه وقلبه هدية لحبيبته بمناسبة عيد ميلادها: " أطلب شما ردت مني مهجتي وعيني وقلبي "، أما في أغنية " ما أريده لغلوبي " يستجير بالله فيقول: " غلوبي اجاني امنين جدد لي حبي.. ومن سحر سود العين دخلك يا ربي "، أما في قراءته لرائعة البهاء زهير فقد أنشد الغزالي: " لا يمكنه الكلام لكن.. قد حمل طرفه رسائل " ثم أغنية " يم العيون السود " والكثير من الأغاني التي تتغزل بالعيون ورسائلها.

ومن أجل أن لا نغفل هذه الأغنية الجميلة أو نمر عليها مرور الكرام، أي أغنية " يم العيون السود " وتأثيرها الساحر في نفس المستمع، فقد حملت إشارة جريئة لا تخلو من المغامرة، فالأغنية تقول في مطلعها " يم العيون السود ما جوزن أنا.. خدك الكيمر أنا أتريك منه " وعلى الرغم من أن كلمة (أتريك) هي في حقيقتها كلمة صعبة جداً ولا يمكن لشخص أن يفكر بإدخالها في أغنية، إلا أننا نجد أن تلك الكلمة الصعبة وقد صارت مرتكز الأغنية ومفتاح حلاوتها والتي عن طريقها وبسببها شحذ العراقيون تفكههم وخيالاتهم الخصبة. ففكرة الإفطار بوجنة ملائكية الملمس والشكل، فكرة لا تخلو من الخبث والدهاء اللذيذ. ترى هل كان المعني بالأغنية يعد حبيبته بعضة دافئة تدغدغ مشاعرها، أم بقضمة تفاحة جسدها مع ساعات الصباح الندية الأولى؟ المفردات العراقية في أغنية " يم العيون السود " لها أكثر من دلالة وأعمق من تصور، التنور، الرغيف الساخن، الباب، الفستان وغيرها. " لابسة الفستان وكالتي أنا.. حلوة مشيتها دا تمشي برهدنه " هنا رمى الغزالي بخياله عباءة الفتاة جانباً فصورها داخل ذهن المشاهد بجسدها الرشيق تخطو خطواتها بغنج متجهة نحوه. تلك الأغاني بكلماتها وصورها الشعرية المترعة بالدعابة المحببة كانت في نظر المستمع مشاهد سينمائية يتخيلها كما يشتهي لتشحذ في مخيلته ذكريات وصوراً جميلة طالما بقيت دافئة في ذهنه. وبمناسبة الوصف الجميل لخطوات الحبيبة، الخطوات (المتردهنة) في أغنية " يم العيون السود "، تغزل الغزالي أيضاً في أغنية " يا ابن الحمولة " بخطوات الحبيبة ولكن بجرأة أكبر حين قال " ما شفت مثلك بالعالم أبد.. عالمودة تمشي شوية يا ولد " وهنا إشارة إلى أن الحبيبة – رغم أنها جاءت بصفة المذكر – تخطو خطواتها بطريقة متصنعة الدلال والغنج، وما كلمة " المودة " سوى تعميق واضح للمعنى، وللأسف فلم يتسن لنا معرفة مودة المشي في ذلك الوقت ولا حتى في أيامنا هذه!!

يمتلك المطرب ناظم الغزالي من الذكاء ما لم يمتلكه الكثير من المطربين، وذكاؤه ذاك كان يتضح في نقطتين، الأولى، اختيار الكلمات والأبيات الشعرية التي تؤثر بالمستمع وترسخ في ذهنه دافئة تدغدغ مشاعره على الدوام. والثانية، دراسته المسرحية التي وظفها في الغناء مستخدماً طريقته الخاصة في التعبير ليمنح الكلمات دلالاتها الواضحة، بالإضافة إلى الوضوح عند مخارج الحروف وثباتها. والتعبير المسرحي الذي كان يستخدمه الغزالي من خلال صوته يظهر واضحاً في أغنية " أحبك " التي يؤديها بتوسل ودلال واضحين، وتلك الطريقة في التعبير لا يتقنها سوى الممثل المتمكن أو المطرب الذي يعيش أجواء أغنيته بكل جوارحه. والجدير بالذكر أن هذه الأغنية تتمتع بشعبيتها الواسعة لما تحمله من دعابة اكتشفها العراقيون ليبعثوا رسائلهم المشفرة حيث الحبيب، خصوصاً في البيت الأول من الأغنية أو المذهب الذي يقول " أحبك وأحب كلمن أيحبك.. وأحب الورد جوري عبنه بلون خدك " هذه الإشارة كانت النساء يغازلن بها أزواجهن وهن يداعبن أطفالهن، أو تلك التي تحمل طفلاً على ذراعها لتمر بجانب حبيبها وتسمعه تلك الكلمات وكأنها تلاطف الطفل.

حين كان الغزالي يغني البستات الشائعة بعد أداء المقامات، كان حريصاً على إضافة بعض الكلمات أو الأبيات الجديدة التي تحتوي على مفردات أو إيحاءات تهيج في روح المستمع صوراً تحمل الكثير من التأويل الممتع، ففي البستة الشهيرة " يا خشوف " بدّل الغزالي كلمة " الدورية " بكلمة " الفختية " فقال.. يا خشوف العلى المجرية.. ابنكم فزّز الفختية " وهذا التبديل الجميل بالكلمة أعطى بعداً آخر للمعنى، فتحولت الصورة من أجواء الليل والزقاق ودورية الحراس، إلى مكان آخر قد يكون حديقة الدار أو باحته حيث نخلة الدار، ولنا الحق أيضاً أن نتصور المعنى المقصود في كلمة " الفختية " بأنها الفتاة الكاعب التي لم تعرف العشق بعد. ففي أغنية أو بستة " بنية ويا بنية " غنى الغزال وقال: " بهذاك الصوب لاكني فخاتي.. خذن عقلي ونسني عباتي.. ".

أدخل الفنان ناظم الغزالي من خلال أغانيه الكثير من المفردات والألغاز والإشارات إلى اللهجة العراقية المحكية، وصار العراقيون يتناقلوها بتحبب ودلال، مثل " الركبة مرمر "، " يمشي عالمودة "، " أحبك وأحب كلمن يحبك " وغيرها الكثير.

يبقى الفنان ناظم الغزالي مطرب الأغاني العراقية الدافئة ذات النكهة البغدادية ودعابتها الساحرة، كما ويبقى من أهم قارئي المقام العراقي، فهو من نشر بحلاوة صوته وحرصه النبيل أساليب هذا الفن الجميل وأصالته إلى كافة أرجاء العالم.